**المحاضرة 09: إثنوغرافيا الاتصال**

مع تنامي الظاهرة الاتصالية في المجتمعات الحديثة، ظهرت الحاجة لوجود مقترب معرفي أنتروبولوجي لدراسة ظاهرة الاتصال من الناحية التطبيقية، وقد وجد هذا المقترب المعرفي أساسا نظريا من أنتربولوجيا الاتصال، ومن الدراسات الميدانية للإثنوغرافيا التي درست الأمم والمجتمعات دراسة وصفية ميدانية.

ومع تعاظم هذا النوع من الدراسات الميدانية، تحولت الإثنوغرافيا إلى دراسة المجتمعات الحضرية أو الصناعية، كما استخدم المنهج الإثنوغرافي كذلك في دراسة الثقافات الفرعية داخل المجتمعات الحديثة، وفي إجراء البحوث الميدانية على مؤسسات داخل المجتمع الصناعي الحديث.

ترتكز إثنوغرافيا الاتصال على محددات أساسية لكل من الاتصال، وتفاعل الإنسان مع أدوات ووسائل الاتصال، وكذلك دراسة الظاهرة الاتصالية المتنامية داخل المجتمعات الحديثة، خاصة مع بروز وتطور التكنولوجيا الحديثة، ووسائل الاتصال التقليدية وغير التقليدية.

1. **لماذا إثنوغرافيا الاتصال:**

تبحث إثنوغرافيا الاتصال في السلوك التواصلي واللغوي في سياق ثقافة معينة للفرد أو الجماعة، ويرتكز العمل في هذا المجال على ما يحتاج المتحدث إلى معرفته لكي يتواصل تواصلا مناسبا في مجتمع كلامي، كما يتركز أيضا على كيفية تعلم هذه المعرفة واستخدامها، وترّكز التحليلات على نظام الأحداث التواصلية في مجتمع كلامي، وكيف ينقل المعنى الاجتماعي عن طريق هذه الأحداث، ويضم نتاج مثل هذه الدراسات أوصافا إثنوغرافية لكيفية عمل التواصل في مجتمعات متنوعة، وكما يقول سافيل-ترويكا، فإن الاختصاصيين في الدراسة الإثنوغرافية للاتصال يبينون عملهم على فرض أن اللغة لابد من النظر إليها بوصفها ظاهرة اجتماعية، حيث تنظر الدراسة الإثنوغرافية للاتصال الثقافي أولا وقبل كل شيء بوصفها صيغة ثقافية تقع داخل المجتمع، مع إدراك أهمية تحليل النظام الرمزي نفسه، والعمليات الذهنية للمتكلمين به ومتعلميه. ([[1]](#footnote-1))

إنّ ما يميّز البحث الإثنوغرافي عن بقية الأبحاث الكمية هو عدم وجود فرضيات مسبقة ومحاور صارمة للأسئلة التي تقود البحث، حيث أن هذا الوضع بحد ذاته غير مريح لدى بعض الباحثين، ويؤدي إلى إشكالات خصوصا في بداية البحث، هذا ما حصل مع كثير من الباحثين الإثنوغرافيين الذين لم تتبلور أسئلة الدراسة معهم إلا بعد مرور فترة من الزمن استطاعوا من خلالها التخلي عن كثير من الأفكار التي توقعوها قبل دخلوهم الميدان، ولجئوا إلى أفكار أخرى شكل محور اهتمامهم أثناء وجودهم في الميدان، لكن هذا لا يعفي الباحث من تحديد إطار عام، وخطوط عريضة تمكن من تحديد زاوية النظر للبحث. ([[2]](#footnote-2))

وقد أوضح جورجن روش jurgen ruesch، أنه عندما نقوم بدراسة الاتصال من أي موقع ثقافي، لا بد على الباحث أن يأخذ بعين الاعتبار في إستراتيجية عمله المعطيات التالية:

* أعضاء المجتمع المبحوث يلتزمون بالتعميم في حديثهم حتى عن الثقافة الخاصة بهم.
* يجب أن يلاحظ الباحث التفاعل والاتصال بين أعضاء الجماعة كملاحظ محايد.
* يأتي فهم الباحث في جزء كبير من تفاعله الخاص مع بعض أعضاء المجموعة.([[3]](#footnote-3))

ويظهر جليا مما سبق أن كل فعل أو سلوك أو شيء ما يمكن أن يكون حاملا لرسالة اتصالية، وتعتبر بالتالي "الثقافة" نسقا محركا لكل سلوك اتصالي، وهو ما يؤكد عليه ايف وينكن كأنتروبولوجي، حيث أكدّ ان امتداد الاتصال في الأنتروبولوجيا، يجب أن يكون مرتبطا بامتداد الاتصال في الثقافات والجاليات على الدراسة الإثنوغرافية التي تقوم عليها الوقائع والنظريات الأنتروبولوجية في كل ثقافة أو جماعة، فإن السلوك والأشياء يتم تنظيمها واستعمالها، والتردد عليها، وتأويلها بشكل انتقائي وفق قيمتها الاتصالية.([[4]](#footnote-4))

1. **نموذج التحادث speakingلهيمس دال hymes dell:**

هو أحد وأهم النماذج التي يعتمد عليها الإثنوغرافي في دراسته الاتصالية داخل أي جماعة من الجماعات، حيث اقترح هيمس دال نموذج **speaking** والذي حدّد له هدفا معينا، وهو تزويد الباحثين بإطار وصفي ومنهجي، يأخذ بعين الاعتبار التغير والتقلب الثقافي لأنساق الاتصال، والذي يسمح بمقارنة دور الكلام في مجتمعات مختلفة، ويحتوي هذا النموذج على ثمانية مكونات، حدّدها فيما يلي:

* **السياق setting:** وحددها في مكان، وقت وأجواء الاتصال.
* **المشاركون participants: كل المشاركين سواء كانوا أخذوا الكلمة أو لا.**
* **الغايات ends: ويقصد به هدف ونتائج اللقاء.**
* **الأفعال أو المنتوج acts: ويقصد به الرسائل في حدّ ذاتها، في موضوعها وفي شكلها.**
* **النبرة keys: خصائص الرسائل، وكذلك نبرتها.**
* **الوسائل والأدوات instrumentalities: ويقصد بها وسائل الاتصال، وتتضمن الوسائط، والقنوات، اللغة المنطوقة، المغناة، المكتوب، المدونات، لغات، لهجات...**
* **المعاييـر norms:** ممعايير التفاعل التي تضبط اخذ الكلمة وتوزيعها، ومعايير التأويل التي تأخذ بعين الاعتبار الخلفيات، والاختلافات الاجتماعية والثقافية.
* **الأنواع genres:** ويقصد بها أنواع وأنماط الخطابات، أي الفئات التي يصف من خلالها أعضاء جماعة ما نشاطاتهم اللفظية، قصص، حكايات غريبة، ماسي... الخ... ([[5]](#footnote-5))

لقد عدّ هذا النموذج الهام ميلادا جديدا، وآلية جديدة تهيكل أنتروبولوجيا الاتصال بعيدا عن علم اللسانيات وعلم اللغة، وقد كان منتهى هذا النموذج كما أكد عليه هيمس دال: "هو أنه من واجب الإثنوغرافيا وليس اللسانيات، وواجب الاتصال وليس اللغة توفير الإطار المرجعي الذي فيه يمكن تحديد مكانة اللغة في الثقافة والمجتمع".([[6]](#footnote-6))

وتظهر الكفاءة الاتصالية للباحث الإثنوغرافي من خلال قدرته على دراسة الاتصال داخل المجتمعات القديمة أو الحديثة، عن طريق البحث في مصادر الثروة الرمزية ضمن أطرها الثقافية والاجتماعية وإيجاد وسائل اتصال خاصة بذلك، وتقنيات اتصالية لا يمكن إغفالها في معاينة الظواهر الاتصالية ذات الخصوصية داخل هذه المجتمعات أو الجماعات.

1. **()**- احمد شفيق الكاتب: البحث الإثنوغرافي، موقع الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين، www.wata.cc تاريخ الاطلاع 31مارس2019. [↑](#footnote-ref-1)
2. **()**- نادر وهبة ، مرجع سابق، ص35. [↑](#footnote-ref-2)
3. **()**- انظر: بوجمعة رضوان: أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل، محاولة تحليل أنتروبولوجي، دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر03، السنة الجامعية 2006-2007، ص97. [↑](#footnote-ref-3)
4. **(1)**- yeves winkin: anthropologie de la conomunication, de la théorie au errain, de boeck, université de bruxelles, 1996,p11. [↑](#footnote-ref-4)
5. **()**- رضوان بوجمعة، مرجع سابق، ص100. [↑](#footnote-ref-5)
6. **()**- المرجع نفسه، ص101. [↑](#footnote-ref-6)